سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس السابع عشر

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدرس السابع عشر

وَقَولِهِ: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطُّور:٤٨]، ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾[القمر]، ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾[طه]. وَقَوْلِهِ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ [المجادلة:١]، وَقَوْلِهِ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾[آل عمران:١٨١]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الزُّخرف].

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فهٰذا درسُ آخر الدروس قبل الحج، ومعنا يوم الاثنين إن شاء الله في «الزاد» ويوم الثلاثاء ليس فيه درس، ونقف -إن شاء الله- إلىٰ أول الأسبوع من الدراسة، يعني نبدأ مع بداية الدراسة إن شاء الله.

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هٰذه الآيات التي فيها إثبات صفة (العينين) لله جل وعلا، وهٰذا كلُّه داخل في جملة أركان الإيمان لأن أركان الإيمان منها الإيمان بالله جل وعلا.

وللتذكرة ذكرنا أن الإيمان بالله جل وعلا هو الإيمان بربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته، ودخل في هٰذه الجملة - جملة الإيمان بالله – الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، من هٰذه النصوص التي ساقها شيخ الإسلام من أول ما بدأنا إلىٰ هٰذا الموضع وإلىٰ ما بعده.

فمن تلك الصفات إثبات صفة (العينين) لله جل وعلا وذكر الأدلة الدالة علىٰ إثبات تلك الصفة لله جل وعلا قال جل وعلا: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ وقال جل وعلا: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ وقال جل وعلا: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ فيجب الإيمان بهٰذه الصفة لله جل وعلا، والنصوص من الكتاب والسنة دلت علىٰ إثبات هٰذه الصفة، فيجب أن يُصَدَّق خبر الله جل وعلا إذْ لا يصف الله جل وعلا أحد أعلم به من نفسه، فالإيمان بها واجب وتأويلها وردها هو من جملة التحريف الذي هو كفر بالصفات، كما قال جل وعلا: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي﴾[الرعد:٣٠]، ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ لما أنكروا اسم الرَّحمٰن لله جل وعلا وقالوا: لا نعرف إلا رحمان اليمامة، فكل من أنكر صفة من صفات الله جل وعلا فهو كافر بها، هٰذه الأدلة دلَّت علىٰ إثبات صفة (العينين) لله جلَّ وعلا وفي هٰذه الآيات ذُكرت العين:

- مفردة، مضافة إلىٰ المفرد؛ في قوله جل وعلا: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾.
- وذكرت مجموعة مضافة إلىٰ ضمير العظمة -ضمير الجمع- قال جل وعلا: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ وكذلك قوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ هٰذا فيه إثبات صفة (العين) لله جل وعلا، وعلىٰ هٰذا أهل السنة والجماعة قاطبة.

وجاء في السُّنَّة بيان أن لله جل وعلا عينين، وذلك في مثل حديث ابن عمر المتفق عليه بين البخاري

ومسلم، وخرّجه جمع كثير وهو العمدة في الباب، قال عليه الصلاة والسلام: «إن ربكم ليس بأعور، وإن الدجال أعور العين اليمنىٰ كأن عينه عِنبة طافية». كذلك جاء في حديث أنس وفي حديث غيرهما أن الدجال أعور، وأن الله ليس بأعور، قال أهل اللغة: (إن الأعور هو من فقد أحد عينيه)، وذلك لأن مخلوقات الله المعروفة لدىٰ العرب من الإنسان وكذلك الحيوان كلها لها عينان، فوضعت العرب هٰذا الاسم (العَوَر) لمن فقد أحدُ عينيه فهو خاصٌّ بذلك، وليس العور هو ذهاب البصر، لهٰذا دلَّ هٰذا الحديث «إن ربكم ليس بأعور» علىٰ إثبات صفة (العينين) لله جل وعلا بدلالة الوضع اللغوي من أن (العَوَر) في اللغة عند العرب هو فقد أحد العينين.

إذا تبين لك ذلك فأهل السنة والجماعة يفهمون النصوص الواردة في صفة (العينين) لله جل وعلا بما يوافق بعضها بعضا:

- ففيها الإفراد في قوله جل وعلا: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾، والإفراد لا ينافي التثنية في السنة، كذلك لا ينافي الجمع؛ لأن السنة مبينة للقرآن.

ومن المعلوم أن المفرد المضاف لا يدل علىٰ الوَحْدة؛ بل قد يدل -وهو الأكثر- علىٰ الكثرة، كما في قوله مثلا: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤]، ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ هنا لم يرد بالنعمة واحدة النعم، وإنما أراد الجنس وهي كثرة، وهٰذا متقرر في العربية أن المفرد إذا أُضيف فإنه قد يفيد الكثرة وهو الغالب، وقد يفيد الوَحْدة كما تقول: (هٰذا كتاب فلان) يعني الكتاب واحد، وقد يفيد الكثرة، ولذلك هنا الإفراد لا ينافي الجمع الذي جاء في الآيتين الأخريين اللتين ساقهما شيخ الإسلام، ولا ينافي التثنية التي جاءت في الحديث، وذلك لأن المفرد يدل علىٰ أكثر من الوحد إذا أُضيف، يعني قد يدل علىٰ أكثر من الواحد إذا أضيف.

كذلك قوله جل وعلا: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ هنا جمع فقال: (أعين)، ثم أضافها إلىٰ ضمير العظمة هو الموافق للجمع فقال: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ و(الأعين) جمع والجمع يصدق علىٰ الاثنين، فما زاد عند كثير من أهل العلم، أو علىٰ الثلاثة، فما زاد بإجماع أهل السنة من أهل العربية أهل الأصول، السنة فيها إثبات العينين لله جل وعلا، فكيف نفهم الجمع؟

مرت معكم القاعدة في ذلك في العربية في بحث يدي الله جل وعلا، وبينتُ لكم أن من قواعد العربية **(أن المثنىٰ إذا أضيف إلىٰ ضمير تثنية أو جمع جُمِع علىٰ الأفصح)** كما قال جل وعلا: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[المائدة]، قال: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ السارق تُقطع منه يد واحدة، والسارقة تقطع منها يد واحدة فصار المجموع يدين.

والله جل وعلا قال: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ والأيدي جمع يد، والمثنىٰ يديهما، ولم جُمعت؟ لأنه أُضيف إلىٰ ضمير تثنية، قال: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾.

أصل الكلام (فاقطعوا يديهُما) لكن فيه ثقل، والقاعدة عرفتها فصارت ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ هٰذا هو الفصيح.

كذلك قوله جل وعلا: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾[التحريم:٤]، والمرأتان لكل واحدة منهما قلبٌ، فعائشة لها قلب وحفصة لها قلب فصار لهما قلبان إذا أضيفا إلىٰ ضمير التثنية جمعا فقال: ﴿ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾.

وهكذا النصوص التي جاءت في (اليدين) أو جاءت في (العينين) لله جل وعلا هي علىٰ هٰذا الأصل، قال جل وعلا: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ هنا الأعين يعني العينين، ليس لله جل وعلا أكثر من عينين؛ بل له عينان جل وعلا، هٰذا معتقد أهل السنة، لدلالة السنة علىٰ ذلك، وموافقتها للسان العربي الشريف.

كذلك الآية الثانية قال: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ فجمع؛ لأن المثنىٰ أضيف إلىٰ ضمير جمع، فقال: ﴿ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ فجمع المثنىٰ؛ لأن المثنىٰ أضيف إلىٰ ضمير جمع فجعل المثنىٰ جمْعًا للّتناسب كما جاءت القاعدة.

إذا تبين لك ذلك، وأن الإيمان بأن الله جل وعلا متصف بأنَّ له (عينين) جل وعلا، فهما صفتان ذاتيتان من صفات الذات، إثبات صفة العين لله جل وعلا وأن له جل وعلا (عينين) هٰذه من صفات الذات التي لا تنفك عنه جل وعلا مثل (الوجه) و(اليدين) وغيرها من الصفات، هٰذا معتقد أهل السنة والجماعة.

أما المعطِّلة -معطلة الصفات- **فالمعتزلة** ينفون صفة البصر لله جل وعلا، وينفون صفة العين والعينين لله جل وعلا، فعندهم أن الله جل وعلا ليس له عين، وليس له بصر جل وعلا.

والأشاعرة تناقضوا فأثبتوا صفة البصر لدلالة لعقل علىٰ ذلك ونفوا صفة العينين لله جل وعلا.

وأهل السنة أعملوا النصوص فأثبتوا البصر لله جل وعلا وأثبتوا (العينين) لله جل وعلا، وأبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الإبانة أثبت صفة (العينين) لله جل وعلا[1] ولا شك أن في هٰذا مخالفة لقول المعتزلة، وكذلك قول الكلابية وأصحاب أبي الحسن الأشعرية.

إذا تبين لك ذلك، فقول الله جل وعلا: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ فيه إثبات صفة (العينين) لله جل وعلا، بأي دلالة؟ بدلالة السنة؛ لأن السنة مفسرة ومبينة للقرآن، وهنا قال: (أعين)، والسنة بينت أنهما عينان، فنقول: في الآية إثبات صفة (العينين) لله جل وعلا؛ لأن السنة مفسرة ومبيِّنة للقرآن.

ما معنىٰ الآية؟

معناها: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ ﴾ يأتي شرح أولها، ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ يعني فإنك بمرأًىٰ منا وبصر وعناية ورعاية وكلاءة وحفظ.

وهٰذا التفسير هو تفسير السلف لذلك، وذلك لأن النبي ﷺ ليس بعين الله التي هي صفته، وإنما هو عليه الصلاة والسلام بأعين الله الذي هو أثر اتصافه بـ(العينين).

ولهٰذا أهل السنة حين يفسرون بهٰذا يعدون هٰذا من باب (التضمن) والتضمن أحد دلالات اللفظ،

---

(١) انتهىٰ الشريط التاسع .

لأن اللفظ:

- له دلالة بالمطابقة.
- وله دلالة بالتضمن.
- وله دلالات باللزوم.

فهٰذا اللفظ بالمطابقة – المطابقة إثبات صفة العين لله جل وعلا – ما المعنىٰ؟ هنا يحتاج إلىٰ دلالة التضمن، فقالوا: معناه أن النبي ﷺ بمرأىٰ وبصر وكلاءة ورعاية وحفظ من الله جل وعلا؛ وذلك لأنه مضمون قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾.

فإذن ليس هٰذا من باب التأويل كما زعمه من لم يفقه؛ بل هٰذا من باب التضمن، والتضمن دلالة عربية واضحة من اللفظ، قال السلف: هٰذا مع إثبات صفة العينين، فإن السلف قد يفسرون بالتضمن وقد يفسرون باللازم، ويظن الظان أن هٰذا من التأويل وهٰذا غلط، فإن التضمن شيء واللزوم شيء هٰذا من دلالة اللفظ.

وأما التأويل فهو محوٌ لدلالة اللفظ، التضمن واللزوم هٰذا من دلالات اللفظ، دلالات اللفظ علىٰ المعنىٰ، أما **التأويل فهو صرف اللفظ عن معناه**.

إذا تبين هٰذا فإذن قول الله جل وعلا: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ هٰذا أمر لنبيه ﷺ بأن يصبر لحكم الله.

والصبر في اللغة: الحبس، (قتل فلان صبرا) أي حبسا، محبوسا يعني مربوط أو شيء محبوس عن الحراك والتصرف، ممنوع من التصرف والحركة فيقتل، (صبر فلان شيئه) يعني حبسه، (صبر فلان ماله) يعني حبسه وكنزه.

الصبر في الشرع هو : حبس اللسان عن التشكي وحبس النفس عن الجزع، أو حبس القلب عن الجزع وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك يعني في خصوص أقدار الله المؤلمة.

هنا الصبر قال الله جل وعلا: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ واضح أن الصبر أمر به، فمعنىٰ ذلك أنه واجب، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ وهٰذا أمر، هٰذا معناه أن الصبر واجب هٰذا هو الصحيح.

فإن من أهل العلم من قال: إنه مستحب، هٰذا غلط والصواب أنه واجب للأمر به في آيات كثيرة، قال الإمام أحمد: (أمر بالصبر في القرآن في أكثر من تسعين موضعا).

قال: ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الحكم نوعان كما تقدم الكلام عليه:

- حكم كونيٌّ قدري.
- وحكم شرعيٌّ ديني.

والنبي ﷺ أمر بالصبر علىٰ النوعين، أُمِر بالصبر علىٰ حكم الله الكوني القدري، وما فيه مما يسر النفس أو مما يؤلمها، ما فيه من المصائب، ما فيه من معاندة المشركين، وابتلاء الله جل وعلا نبيه بذلك، فيحتاج إلىٰ صبر.

كذلك الصبر علىٰ الحكم الشرعي، وهو الصبر علىٰ الطاعات، والصبر عن المعاصي.

فإذن صار الصبر علىٰ حكم الله الكوني وحكم الله الشرعي تضمن أنواع الصبر الثلاثة، فإن الصبر علىٰ حكم الله الكوني فيه (الصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة)، والصبر علىٰ حكم الله الشرعي هٰذا فيه (الصبر علىٰ الطاعة والصبر عن المعصية) فجمعت هٰذه الآية أنواع الصبر الثلاثة ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾:

- الصبر علىٰ الطاعات.
- صبر عن المعاصي.
- صبر علىٰ أقدار الله المؤلمة.

قال: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ وهنا ذُكرت الباء فقال: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ والباء تفيد الإلصاق الذي يفيد معنىٰ الملازمة والدوام. يعني: فإنك دائما بمرأىٰ منا وببصرنا وفي كلاءتنا ورعايتنا.

وهٰذا من دلالة الباء اللفظية، لاحظ الآية الأخرىٰ قال جل وعلا: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ قال: ﴿ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾، ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ والمعنىٰ أي: علىٰ كلاءة مني ورعاية وحفظ.

فما الفرق بين (الباء) و (علىٰ)؟

هٰذا تنويع لأجل دلالة الحال، فإن موسىٰ عليه السلام كان يستخفىٰ به كحال أطفال بني إسرائيل، وقال جل وعلا في منته علىٰ موسىٰ: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ ففي قوله: ﴿عَلَىٰ﴾ ما يفيد ظهوره وعلوه لأن (علىٰ) تفيد الاستعلاء، وأطفال بني إسرائل كان يستخفىٰ بهم في السنة التي يحق عليهم القتل والله جل وعلا يمن علىٰ موسىٰ بأنه صنعه علىٰ عينه لأن في ذلك الاستعلاء والظهور لشأن موسىٰ لكلاءة الله وحفظه ورعايته.

هٰذا هو الفرق بين (الباء) و (علىٰ) وليس ثَم فروق أخرىٰ كما يدعيه بعض المؤولة.

هنا قال جل وعلا ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ معلوم أن السفينة لا تجري في عين الله، وإنما تجري بحفظه وكلاءته ورعايته، وحفظه حفظ السفينة ومن فيها من كل الآفات، قال جل وعلا: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ ﴾ أي حملنا نوحا ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴾ (يعني علىٰ السفية ذات ألواح والدسر هي المسامير التي تربط بها اللواح وتشد بها، قال جل وعلا: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ يعني أن النصر سيكون له، وأن غير أهل هٰذه السفينة سيكون هالكا؛ لأن الرعاية والحفظ كان لها ولمن فيها.

﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ تفاسير السلف مثل الأولىٰ دائرة علىٰ أنها تجري في حفظ منا وكلاءة ورعاية، وهٰذا تفسير تضمن.

قال جل وعلا في الآية الأخيرة: ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي ﴾ يعني يحبه آل فرعون ويحبه بنو إسرائيل، وكذلك يحب موسىٰ عليه السلام كل مؤمن بالله؛ لأن المؤمنين بالله جل وعلا يحبون الرسل من عرفوا منهم ومن لم يعرفوا، من شهدوهم ومن لم يشهدوهم.

فنوح عليه السلام وأتباعه يحبون كل أنبياء الله جل وعلا ورسله مع أن نوحا هو أول الرسل، كذلك من بعده يونس، كذلك إبراهيم كذلك الرسل، كل رسول ومن اتبع ذلك الرسول يؤمن بجميع الرسل ويحب جميع الرسل، الذين بُعثوا إليهم وكذلك الذين بعثوا إلىٰ غيرهم ممن لم يعرفوهم.

والمحبة عامة، ومن كذب برسول كما تعلمون فقد كذب بجميع المرسلين، قال جل وعلا: ﴿كَذَّبَتۡ

﴿قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾[الشعراء]، وهم قد كذبوا نوحا وحده؛ لأنه أول الرسل فسماهم الله جل وعلا مكذبين لجميع المرسلين لأنهم كذبوا رسولا واحدا، فمن جحد رسالة رسول فقد جحد برسالة جميع الرسل، ومن تنقص رسولا قد تنقص جميع الرسل؛ لأنهم أوجب الله جل وعلا محبتهم، وأوجب الله جل وعلا طاعتهم، كل يطاع بحسب أمر الله جل وعلا في خصوص الأقوام الذين يبعثون إليهم.

إذن هٰذه الآيات فيها إثبات صفة العينين لله جل وعلا، والسنة موضحة لذلك، بعد هٰذا ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفة السمع لله جل وعلا، وذكر قوله جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة:١].

وهٰذه الآيات التي ذكرها في إثبات صفة السمع لله جل وعلا لم ينفها إلا المعتزلة.

وأما أهل السنة فيثبتون السمع لله بدلالة النصوص، كذلك الأشاعرة والماتريدية والكلابية يثبتون ذلك بدلالة النصوص.

وتنوعت الأدلة ففيها الإخبار بلفظ الماضي ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾، ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ ونحو ذلك من الآيات.

فيها المضارع. وفيها الماضي.

عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: (سبحان من وسع سمعه الأصوات) فجاءت بالصفة والله جل وعلا جاء بالاسم صيغة المبالغة التي هي من اسم الفاعل، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾[الحج] فتنوعت الدلالات في النصوص علىٰ إثبات صفة السمع.

فلذلك إنكارها أبشع ما يكون؛ لأن الدلالات كانت متنوعة، أتىٰ بلفظ الماضي والمضارع واسم الفاعل والصفة، كلها جاءت فتحريفُها أو نفي دلالتها هٰذا من المحال إلا بنوع هوىٰ، وتنويع الدِّلالة علىٰ الصفة لا شك يقوي إثبات الصفة ويكون ذلك أوضح وأوضح عند النظر.

هٰذه الصفة المذكورة في هٰذه الآيات وهي صفة **سمع** الله جل وعلا، سمع الله جل وعلا متعلِّق بالمسموعات، فقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ متعلق بذلك القول، فـ ﴿سَمِعَ﴾ جل وعلا لما قالت المرأة، هٰذا معتقد أهل السنة.

الأشاعرة والماتريدية وجماعات يقولون: سمعه قديم، يثبتون السمع؛ ولكن السمع عندهم ليس بحادث، السمع قديم، فسمع الكلام في القدم لعلمه به، هكذا يزعمون وهٰذا الكلام فيه التكذيب للقرآن، ولولا التأويل لكانوا كفارا بذلك، لأن الله جل وعلا يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾، وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ وإذا كان السماع في الماضي قبل مجيء الكلام وقبل حصوله وقبل حصول المجادلة بين المرأة وبين رسول الله ﷺ، هل يصح أن يقال: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ بصيغة الماضي؟ وإنما يقال: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ إذا كان الأمر قد وقع وانتهىٰ، ولهٰذا...[1]

قال: نجد في النصوص لفظ الماضي ولفظ المضارع، فقد يكون في إثبات السمع القديم، البصر

---

(١) هناك مسح في الشريط.

القديم، دون البصر الحادث والسمع الحادث، والكلام الحادث فيه نفي لدلالات النصوص وفيه تكذيب لها؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ وهؤلاء يقولون: سمعه قديم، كيف؟ سمع في القدم قبل حدوث الكلام؟ هٰذا لا يصح أن يقال: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾، قال جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ هٰذا فعل مضارع دلالته علىٰ الحال يعني يسمع تحاوركما الآن، قد قالت عائشة: (سبحان من وسع سمعه الأصوات أتت المجادلة إلىٰ رسول الله ﷺ تجادله في زوجها وليس بيني وبينها إلا جدار لم أسمعها).

الله يسمع؛ حين الكلام سمع ذلك جل وعلا، وهٰذا ما يثبته أهل السنة والجماعة، هٰذا ولا شك يعظم الصفة في نفس المؤمن؛ لأنه يعلم أن الله جل وعلا يسمع سرَّه ونجواه ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [التوبة:٧٨]، يسمع جل وعلا السر والنجوىٰ فلا يخفىٰ عليه شيء، سمعه وسع الأصوات، ما من شيء يسمع إلا والله جل وعلا يسمعه، يسمع صوت دبيب النمل فوق الصفا، وهٰذه الصفة يجب الإيمان بها كما ذكرت بدلالاتها.

السمع في النصوص السمع من حيث هو فعل ﴿سَمِعَ﴾ أتىٰ علىٰ أربعة أنحاء:

الأول: ﴿سَمِعَ﴾ بمعنىٰ السَّمع **المتعلِّق بالمسموعات**؛ يعني بالأصوات، هٰذا واحد.

الثاني: السَّمع المتعلِّق بالمعاني، وهو سمع الفهم والعلم والعقل.

الثالث: السمع بمعنىٰ الإيجاب، (سمع) بمعنىٰ أجاب، وهٰذا متعلق بالسؤال.

الرابع: سمع بمعنىٰ الانقياد، (سمع) بمعنىٰ انقاد، (سمع فلان لفلان) بمعنىٰ انقاد له.

هٰذه أربعة جاءت في القرآن والسنة هٰذه الأربعة ولا خامس لها.

الأول: ﴿سَمِعَ﴾ تعلقه بالأصوات كالآيات التي سمعت كقوله جل وعلا: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[آل عمران:١٨١] هٰذا سماع للمسموعات يعني للأصوات، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ هٰذا أولا.

الثاني: سمع فهم وعقل وإدراك كقوله جل وعلا: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾[الكهف] ليس المنفي هنا سماع الأصوات، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ يعني سمع الإدراك والفهم والعقل، قال جل وعلا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾[الفرقان:٤٤] يسمعون يعني يفهمون، قال جل وعلا: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[ق] يعني ألقىٰ قلبه، سمعه الذي هو سمع الفهم ليس الأذن فقط. هٰذا الثاني.

الثالث: سمع بمعنىٰ أجاب وهو متعلق بالسؤال، وهٰذا في قولنا في الصلاة: (سمع الله لمن حمده) يعني أجاب الله سؤال من حمده، أو أجاب الله حمد من حمده، والإجابة هنا تكون بالثواب أو بالعطاء.

الرابع: سمع الانقياد والطاعة وهٰذا كما قال جل وعلا: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾[التوبة:٤٧] يعني منقادون لهم، وكذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة:١٠٤] يعني انقادوا واتبعوا وأطيعوا، كذلك قوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢]، ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ يعني سمع الانقياد.

إذا تبيَّن لك ذلك فهي مُرتبة علىٰ هٰذا الترتيب، فقد يسمع سمع الأصوات ولا يفهم كما قال جل

وعلا: ﴿ وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾ سمعوا الصوت ولم يفهموا الكلام علىٰ وجهه.

قد يكون سمع عقل وفهم ولا يكون إجابة لسؤال، أن يُسأل فلان فيفهم، يسمع الأصوات يفهم ويعقل معنىٰ السؤال ولكن لا يجيب.

الثالث سمع إجابة متضمن للإجابة وللفهم ولسمع الصوت.

الرابع الانقياد، وهو متضمن للجميع.

وهٰذه كلها مثبتة لله جل وعلا علىٰ وجه الكمال – المثبت لله جل وعلا هٰذه الثلاثة، أما الرابع الذي هو سمع الانقياد والطاعة هٰذه خاطب الله جل وعلا بها المخلوق- أما المخلوق فلا يتصف من تلك الصفات إلا بأقلها، فله سمع يناسب ذاته الحقيرة، سمع للأصوات.

إذا فهم فيفهم الفهم الذي يناسب عقله وذاته.

إذا أجاب فإنما يجيب بما يقدر عليه من الأشياء الحقيرة التي في يديه.

وإذا انقاد فإنه ينقاد علىٰ وجه النَّقص أيضا، حاشا الكمل من خلق الله جل وعلا وهم الرسل فإن انقيادهم لله جل وعلا وطاعتهم كاملة، ومع ذلك يستغفرون الله جل وعلا.

إذا تبين لك ذلك، فيظهر لك عظم هٰذه الصفة صفة السمع لله جل وعلا واسم الله (السميع) فإنه جل وعلا يسمع الأصوات ويعلم جل وعلا معاني كلام الخلق علىٰ اختلاف لغاتهم وعلىٰ تفنُّن حاجاتهم، يخاطبه جل وعلا العربي، ويخاطبه جل وعلا العَجَمي يخاطبه صاحب كل لسان، والله جل وعلا هو الذي خلق اللغات وخلق الألسنة، وهو جل وعلا يسمع ذلك ويجيب ويثيب ويحاسب تبارك وتعالىٰ.

هٰذا ملخص الكلام علىٰ صفة (السمع) لله جل وعلا.

[الأسئلة]

نجيب عن بعض الأسئلة..

سؤال (): هٰذا سؤال عجيب أقرؤه عليكم، سؤال من فاهم يعي معنىٰ الكلام:

يقول : السلام عليكم، هٰذه مناقشة أريد أن أصل فيها إلىٰ حل إشكالٍ لي، وهي:

لو قال مبتدع: المراد بيد الله قوته ونعمته.

فرددت عليه بأن هٰذا تأويل باطل.

قال لك: أنتم تفسرون ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ بالحفظ والرعاية، وهٰذا تأويل باطل، فلماذا تثبت هنا وتنفىٰ هناك، إذ هٰذا تحكم.

قال السنىٰ: إنما فسرنا آية ﴿أَعْيُنِنَا﴾ بالحفظ والرعاية لأجل فساد معنىٰ تفسير أن المراد بالآية العين الباصرة.

قال المبتدع: وأنا قلت بأن المراد باليد القوة.. وصرفته عن الحقيقة لأجل فساد المعنىٰ لأجل التجسيم، فلماذا تنهاني عن تفسيري لهٰذه الآية بمعنىٰ يخالف الحقيقة، وأنت تفسر الآية بمعنىٰ يخالف الحقيقة؟

الجواب: هٰذا السائل هو فاهم من جهة، فاهم معنىٰ التأويل ولكنه مخلط من جهة أخرىٰ وذلك أن –

أنا أعطيه فرقا يقصر معه الجواب هو أن – أهل السنة حينما يفسرون بالتضمن لا ينفون المطابقة لا ينفون الحقيقة، فهم إذا فسروا ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ يعني بكلئنا ورعايتنا، قالوا: العين مثبتة.

أما المبتدعة فإنهم حينما يقولون: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] أي بقدرتي وقوتي ينفون معنىٰ اليد، من لوازم إثبات الصفة إثبات المعاني التي يقولها المبتدعة، من لوازمها؛ لكن ليست هي، فأهل السنة يثبتون الصفة ويثبتون ما تضمنته ويثبتون اللوازم.

فالأعين يثبتونها، لأنا الآن نسوق الآيات في إثبات صفة العين، ويقول: هٰذا تأويل، ما نفينا صفة العين حتىٰ يكون تأويلا، نحن أثبتنا صفة العينين لله جل وعلا، فنقول: فيها إثبات صفة العينين والمعنىٰ، المعنىٰ أيش؟

المعنىٰ تجري بكلئنا ورعايتنا، فليس فيها نفي الصفة، لو قال قائل: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾[الملك] لو قال قائل: يعني تبارك الذي تحت قدرته وتصرفه الملك، هٰذه قد يقولها رجل من أهل السنة، ويقول معها: هٰذه الآية فيها إثبات صفة اليد لله تعالىٰ والملك تحت قدرة الله تعالىٰ وتصرفه، فيكون الكلام صحيحا، هٰذا تفسير بالتضمن، تفسير باللازم، لأنه يلزم من كون الملك بيد الله جل وعلا أن يكون تحت تصرفه وتدبيره وقدرته.

هنا يلزم من إثبات العينين لله جل وعلا أن الله جل وعلا يكون مع الذين اتقوا، مع المؤمنين، يلزم من قول الله جل وعلا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[الفتح:١٠] أن هٰذا تشديد علىٰ نكث البيعة، لهٰذا المفسرون من أهل السنة قالوا في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ قالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ فيها إثبات صفة اليدين لله جل وعلا، والمعنىٰ تشديد أمر نكث البيعة، ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ تشديد أمر نكث البيعة، لماذا؟

لأن الله جل وعلا شدَّد ذلك بذكر صفته وهي اليد، فيكون المعنىٰ اللازم عن ذلك مرادًا مع إثبات الصفة.

فالفرق بين المبتدعة وأهل السنة أن السلف يفسِّرون اللفظ بالمطابقة، يفسرون آيات الصفات بالمطابقة، ويفسرنها أيضا بالتضمن واللازم.

وأما المبتدعة فينفون الدلالات هٰذه، ويقولون بالتأويل، ولابد من – يعني المناقشة مع أهل البدع – لا بد فيه من معرفة أصول الفقه، لأن أصول الفقه فيها حل هٰذه الإشكالات لأنها هي المرجع لفهم دلالات الألفاظ، لفهم الكلام.

فإذن نقول: اللفظ يدل علىٰ معناه بالمطابقة، أو يدل علىٰ معناه بالتضمن أو بالمطابقة والتضمن جميعا ويدل علىٰ المعنىٰ اللازم.

فاللفظ له ثلاث دلالات تجتمع جميعا لا ينفىٰ:

- فيدل علىٰ المعنىٰ جميعا بالمطابقة.
- يدل علىٰ بعض المعنىٰ بالتضمن.
- يدل علىٰ أمر خارج باللازم.

هٰذه دلالات اللفظ.

المؤولة ينفون دلالات اللفظ ويقولون: هٰذا غير مراد، يذهبون إلىٰ شيء آخر، ظاهر؟

فإذن هٰذا الكلام الذي قدره السائل مناقشة بين سني وبدعي ليس هكذا، ولا أظن مبتدعا حاذقا يقول بمثل هٰذا الكلام، لأن المبتدعة حذّاق لو قالوا بهٰذا الكلام رد عليهم بسرعة، لكن هم يقولون: هٰذا تجسيم، تجسيم، تجسيم، فينفون الصفات لأجل بشاعة هٰذا اللفظ، تجسيم، تجعلون الله جل وعلا جسم، هٰذا تشبيه هٰذا تمثيل إلىٰ آخره، وهٰذه هي أقوىٰ متعلقاتهم الخبيثة.

وأما أهل السنة فالحمد لله يفهمون المعاني كلها، فهم أفقه الخلق بدلالات الكتاب والسنة، وأيضا دلالات اللغة العربية ولله الحمد.

فهم ما أثرت فيهم لوثات اليونان، ولا أثرت فيهم لوثات الفلاسفة، ولا العقليات الباطلة، وإنما جمعوا بين السمع والعقل.

سؤال (): ونأخذ سؤالا آخر، نعم ...

الآن الباء للملاصقة، قرأتها في النحو؟.. قرأت معنىٰ الإلصاق في النحو وش معناه؟..

جميل، صح، الملاصقة في النحو علىٰ درجتين:

- ملاصقة للشيء بالشيء ذاتا.
- وقرب الشيء من الشيء.

هٰذه ذكرها سيبويه في «الكتاب»، تقول: (مررت بفلان) كيف مررت؟ لاصقته يعني؟ (مررت بك) يعني أيش؟ هٰذه الباء للملاصقة.

قالوا: معناها يعني بمكان ملاصق لمكانه؛ يعني بقربه، فإذا كان كذلك لا تفهم الملاصقة معناها المماسة، هٰذا في بعض المواضع. ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[البقرة:١٥٨]، ملاصقة، يعني إلصاق ذات بذات، صحيح؟

هنا ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ هٰذا يدل علىٰ القرب، طيب. هٰذه باء الملاصقة للقرب، النوع الثاني، واضح لك؟

فافهم الملاصقة ما هي معناها أن هٰذه في هٰذه، أو أن هٰذه ملاصقة ذاتا، لا.

وإذا كان معناها القرب، يعني التصاق القرب فكان – هنا القرب ما فائدته – معناها في كلاءتنا ورعايتنا ونحو ذلك.

واضح؟

ما في باقي شي من حجج المبتدعة؟

شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ فاهمهم، يعني ضابطهم وهو أقدر من أتىٰ في هٰذه الأمة من بعد ظهور هٰذه الأهواء المضلة، يعني من بعد القرن الثالث، أقدر من أتىٰ علىٰ رد إفك المبتدعة، لماذا؟

لأنه دخل معهم في القواعد ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ﴾[النحل:٢٦] بعث الله جل وعلا شيخ الإسلام ابن تيمية للناس عالمًا مجددا يأتيهم من القاعدة، يزلزل القاعدة، ومن الإشكالات العقلية المهمة في المناقشات أنه يجي يقدم مقدمة ثم يبني عليها أشياء، تروح تنشغل أنت

بالنتائج تنسىٰ المقدمة، يصعب الرد، مثل الآن – الذي ذكرني به – الكلام أن الباء للملاصقة، وكيف؟ يشكل عليه، لو سلمنا بمعنىٰ الملاصقة علىٰ ما كان في الذهن كان الإشكالات تصير قائمة ولا نستطيع حلها.

شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ وتلميذه ابن القيم ومدرسة شيخ الإسلام جميعا تميَّز بأنه يغوص معهم في القواعد، شوف، يبدأ من النقطة التي بدأوا منها، إذا جابوا مقدمة من أول الطريق يمسك المقدمة وينسفها، خلاص، ما عاد يبقىٰ شيء.

يصير ما بني علىٰ باطل فهو باطل، وهٰذه من المهمات لأهل العلم، من المهم أن تفهم الأساس، القول الأساس الذي بني عليه هٰذا القول، إذاعرفت الأسس التي بنيت عليها الأقول سواء الأقوال الحقة أو الأقوال الباطلة أمكنك تصور الحق من أساسه بحيث لو أتىٰ واحد بيشبّه عليك ما تتزلزل عنه؛ لأنك فهمته من أوله، كذلك الأقوال الباطلة إذا فهمتها من أساسياتها استطعت أن ترد عليهم بنقض أساسياتهم، لأن نفس الأساس الذي بنوا عليه هٰذا باطل. نكتفي بهٰذا القدر.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.